أميرة عبد الحفيظ عمارة*

# رواية "القرش"

**رواية «القرش» لميشقا بن دافيد**

**سنة النشر: ٢٠١٧م**

**دار النشر: تِخيلِت**

**عدد الصفحات ٤٣٨**

## مقدمة

حينما تقرأ رواية مستقبلية لكاتب خدم في الموساد نحو ١٢ عامًا، وشارك في العديد من العمليات السرية، منها عملية الاغتيال الفاشلة لخالد مشعل، لابد وأن تتخذ القراءة أبعادًا مختلفة؛ وذلك على الرغم من أن الكاتب يؤكد في مطلع الرواية أن جميع أحداثها، بما فيها الغواصة الإسرائيلية، محض خيال، وأنه لا علم لديه بالقوة النووية الإسرائيلية، ولكنه اعتمد في الكتابة على معلومات من الإنترنت ومن بعض الكتب ومن أفلام وثائقية كثيرة.

خضعت هذه الرواية المليئة بالمعلومات التقنية والبحرية وبالتفاصيل العسكرية والحربية لرقابة صارمة وزارية وعسكرية وأيضًا لدى الموساد. فالرواية مستقبلية خيالية، تصف سلسلة من الأحداث التي تدور في العقد القادم، وفي مركز الأحداث غواصة إسرائيلية حديثة متطورة تدعى «القرش»، تحمل صواريخ نووية لإطلاقها في الوقت الذي يصبح فيه بقاء إسرائيل مرهونا باستخدامها.

تتكون الرواية من قسمين بهما ثمانية فصول، القسم

* محاضرة الأدب العبري بجامعة المنصورة- جمهورية مصر العربية.

الأول بعنوان «بين غزة وتل أبيب»، والقسم الثاني عنوانه «بين طهران والقدس». وتُصنَّف هذه الرواية ضمن أدب الديستوبيا الإسرائيلي الذي انتشر في السنوات الأخيرة انعكاسًا للقلق الوجودي الذي يعيشه الإسرائيلي، وتعبيرًا عن الواقع البائس في ظل الحكم اليميني، وفي ظل تفاقم المشكلات الاجتماعية والسياسية التي يعانيها الإسرائيليون أيضًا. وقد بدأت الكتابة الديستوبية في الأدب الإسرائيلي منذ ستينيات القرن الماضي، وازدادت وتيرتها بعد الحروب التي خاضتها إسرائيل وبعد والانتفاضات الفلسطينية أيضًا. و يركز هذا الأدب في عمومه على انهيار إسرائيل من خلال عوامل مختلفة سواء من داخل الدولة نفسها أو لأسباب من خارجها؛ لكنه في النهاية وسيلة للتعبير عن حالة الخوف المتأصلة لدى الإسرائيلي ومحاولة أدبية لتنبيه الوعي الإسرائيلي لتجنب حدوث مثل هذه الكوارث الوشيكة.

## الغواصة «القرش»

عنوان الرواية هو اسم الغواصة الإسرائيلية التي صممت كغواصة إستراتيجية تحمل صواريخ نووية، والتي تختلف عن سابقتها الدولفين وغيرها من الغواصات الإسرائيلية الأخرى بقدرات متطورة للغاية ، كأن تظل تحت الماء لأسابيع دون أن يعلم أحد عن وجودها، وبقدرتها على البقاء بعيدًا عن قاعدتها مدة ثمانين يومًا دون إمدادات، والغوص تحت الماء لعشرين ألف كيلومتر دون التزود بوقود، والتجول بسرعة ٢٠ عقدة والغوص إلى عمق ٣٥٠ مترًا، والتزود ببطارية سعتها ثلاثة أضعاف البطاريات الأخرى في الطاقة، وإمكانية احتواء قنابل ذات قوة تدميرية عالية من مئتين كيلوطن من مادة تي إن تي، أي ما يعادل ١٥ ضعف قنبلة اليورانيوم التي أسقطت على هيروشيما و١٠ أضعاف قنبلة البلاتينيوم التي أسقطت على ناجازاكي. وقد صممت هذه الغواصة في ألمانيا، وقد كان التبرير الألماني لأميركا ودول الاتحاد الأوروبي والدول العربية بأن يتم تعريفها بأنها منصة إطلاق أقمار صناعية وذلك بعد المحادثات التي أجريت بشأنها.

تسهب الرواية في التفاصيل الفنية والتقنية للغواصة بدءًا من طريقة تشغيليها وغوصها، مرورًا بالمعلومات الخاصة بالصواريخ النووية وكيفية الإطلاق وحساب الإحداثيات، إلى وصف حياة أفراد طاقمها الشخصية وغرفهم ومعيشتهم. وتقع المسؤولية التاريخية في إطلاق الصواريخ النووية على

غلاف «القرش»

عاتق قائد الغواصة العقيد يرون غال بمساعدة نائبيه الرائد عوديد البلق والرائد ميخائيل شوشان اللذيْن تتباين آراؤهما حول حجم المسئولية الأخلاقية لإطلاق صاروخ نووي.

## أحداث الرواية

في الوقت الذي يتم فيه إقرار مشروع اتفاقية سلام بين فلسطين وإسرائيل برعاية أميركية، يرى سكان غزة أن هذه فرصتهم الأخيرة لتغيير مصيرهم قبل الموافقة على الاتفاقية. تحفر حماس النفق الأطول في تاريخها، أسفل الحقول الإسرائيلية، دون أن يستطيع أحد اكتشافه، ومن خلاله يتجه نشطاء حماس إلى المستوطنات الإسرائيلية لترهيب وقتل المستوطنين ولاختطاف رهائن كوسيلة للضغط على إسرائيل في محادثات السلام، وفي الوقت نفسه تتدفق حشود من الفلسطينيين بالآلاف إلى المستوطنات الواقعة شمال قطاع غزة كسيل بشري لا يمكن إيقافه، ويتطور الأمر إلى إطلاق حماس صواريخ بعيدة المدى تصل إلى العمق الإسرائيلي، إلى أن تضرب برج عزرئيلي في تل أبيب.

ترد إسرائيل بقصف المستشفيات والمدارس والبنى التحتية في غزة؛ فيتحرك الجيش المصري ويتقدم عبر سيناء إلى غزة، في الوقت الذي تغيرت فيه السلطة في مصر وعادت إلى يد الإخوان المسلمين بعد الإطاحة بالرئيس السيسي جراء الأزمات الاقتصادية المتتالية التي عانت منها مصر.

يثور أيضًا فلسطينيو الداخل –الذين عانوا من التمييز العنصري والأحوال الاقتصادية البائسة– ويشنون هجمات على المستوطنات الإسرائيلية ويتدهور الوضع الأمني داخل إسرائيل في تلك المناطق، وبالتزامن يبدأ حزب الله في التحرك مدعومًا من إيران وتصيب أحد صواريخه سفينة أمونيا إسرائيلية راسية في ميناء حيفا، فتنتشر سحابة من أبخرة الأمونيا السامة تقتل آلاف الإسرائيليين، وترد إسرائيل بهجوم بري على لبنان لكن ذلك لم يكن رادعًا لتوقف الصواريخ. في الوقت نفسه يتقدم الجيش السوري نحو الجولان مدعومًا بروسيا التي شلت القوة الجوية الإسرائيلية عبر قواعدها في المتمركزة في سورية.

لا يتوقف الهجوم عند محاربة إسرائيل على أربع جبهات، بل يتقدم الجيش الأردني إلى شرق وادي الأردن بتشجيع ودعم من الدول العربية، ثم إلى أريحا باتجاه القدس، وتنضم داعش الأردن إلى داعش سيناء في قوافل طويلة إلى إيلات، ويعلن الرئيس الفلسطيني استقلال دولته، وتعلن المدن الفلسطينية استقلالها على التوالي.

يواصل الجيش السوري تقدمه بمساعدة الدروز، والمصري يتقدم نحو نتيفوت وأوفاكيم وعسقلان، والألوية السعودية باتجاه عمان، ولا تستطيع إسرائيل مواجهة هذا الحراك العربي على الرغم من تحرك قواتها البرية وضربها البنى التحتية في لبنان والأردن وغزة، وقذفها لحقول الغاز في قطر (التي ساعدت الجيوش العربية بمليارات الدولارات إضافة إلى دعمها حماس)؛ لتفكر إسرائيل في استخدام النووي كحل أنسب.

## الموقف الدولي

تمعن الرواية في تصوير الأزمة التي وصلت إليها إسرائيل في حربها مع الدول العربية بتخلي الحليف الأميركي عنها، وبالمقاطعة الدولية لها؛ فأميركا أدارت برنامجًا سريًا ضد اليهود فيها، وأعلنت رفضها لما تقوم به إسرائيل وأخلت رعاياها عن طريق مروحيات هبطت على مبنى السفارة الأميركية في إسرائيل، إضافة إلى انضمامها لدول فرنسا وإيطاليا وهولندا ودول اسكندنافيا لمقاطعة إسرائيل تجاريًا. أيضًا دعت الأمم المتحدة إلى قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع إسرائيل، واعترفت بها كدولة احتلال، مؤكدة أن الصهاينة الموجودين اليوم لا علاقة لهم بالآثار الموجودة في فلسطين.

## استخدام النووي

أطلقت إيران ثمانية صواريخ نووية، اعترضت إسرائيل ستة منهم خارج الغلاف الجوي، بينما أصاب واحد مفاعل ديمونا النووي فدمره، والثاني دمر مفاعل الأبحاث الإسرائيلي جنوب تل أبيب.

حينما تصل هذه الأخبار إلى الغواصة يقرر قائدها يرون غال الرد لإنقاذ إسرائيل، فيقرر ضرب مدينة قم الإيرانية المليئة بالمقدسات والآثار، ويتم تدمير المدينة بالكامل. وإزاء هذه الضربة القاضية لإيران، تستمر الغواصة في إطلاقها صواريخ نووية تعترضها السعودية بصواريخ أميركية، غير معروف ما إذا كان مطلقوها سعوديين أم أميركيين، لكن العالم السني يشاطر العالم الشيعي الحزن على مدينة قم الأثرية، وينشب خلاف حاد بين طاقم الغواصة حول المسئولية الأخلاقية وعواقب ذلك على إسرائيل؛ فيطلق ميخائيل شوشان النار على عوديد البلق ويرديه قتيلاً بعد اعتراضه على طريقة إطلاق الصواريخ. ويستمر القائد يرون في الإطلاق وهو المسئول الأول عن اتخاذ قرار إطلاق النووي في ظل انقطاع الاتصال مع البحرية الإسرائيلية –جراء هجوم روسيا السيبراني على إسرائيل– فيقرر ضرب القوات المصرية المتمركزة بين رفح وغزة والتي تعد بحجم جيشين، وعلى إثر هذه الضربة يأمر الرئيس المصري بالقبض على رئيس الأركان الذي يوقف الرئيس المصري بدوره وينقلب عليه ويتم سحب القوات المصرية إلى قواعدها.

وتتوالي الضربات النووية إلى ضرب القوات الروسية المتمركزة في اللاذقية فيتم تدمير القوات البحرية والجوية والسفن الحربية وحاملات الطائرات، ثم ضرب أسطول سفن تركي يحمل مساعدات لغزة، ثم ضرب عواصم دول لبنان والأردن وسورية، مما أدى إلى حدوث تمرد في تلك الدول. وتبرر إسرائيل للعالم الثائر بأنه لا اتصال لديها مع الغواصة، وأن الفاعل سيعاقب في لاهاي على جرائم الحرب.

عندما تقترب الغواصة النووية الروسية «فلاديمير٢» –الأضخم في العالم، والتي تحمل صواريخ عابرة للقارات– من

الغواصة الإسرائيلية يقرر يرون تدميرها على الفور. لكن القرار الأكثر خطورة هو قرار يرون تدمير مدينة القدس، لتحرير معتنقي الديانات الثلاث الإسلامية والمسيحية واليهودية من نير التعلق الديني والنزاع السياسي، ويثير هذا القرار خلافًا وضجة كبيرين بين طاقم الغواصة. وجراء هذه الضربات المتتالية تنسحب جميع القوات الأجنبية من إسرائيل وتتجه الغواصة إلى سواحل إسرائيل في أول زيارة لها هناك لاستقبال أبطالها، لكن بوصولها تضربها طائرة فتدمرها ويُخلى طاقمها، ويبقى يرون بداخل الغواصة التي تغرق.

## خلاصة

تستشرف الرواية مستقبل إسرائيل من خلال نظرة متشائمة يكتنفها البحث عن حلول للخلاص؛ وعلى الرغم من أن استشعار التهديد الوجودي والقلق على مصير إسرائيل ليسا جديدين في الأدب الإسرائيلي، إلا أن هذه الرواية اتخذت بعدًا جديدًا، هو استعراض القوة النووية الإسرائيلية، التي من شأنها تخليص إسرائيل من أعدائها وتحقيق الشعور بالأمن لدى المواطن الإسرائيلي العاجز عن استشعاره. ويرى عوفر دروري أن الرواية تشكل تحديًا حقيقيًا لقادة الأمن في إسرائيل، ويتساءل إلى أي مدى إسرائيل مستعدة للكارثة الموصوفة في الرواية، وإلى أي مدى تشكل القرارات المتعلقة بتقليص الجيش وقواته المدرعة خطرًا وجوديًا، وما إذا كانت الدبابة مصممة لمحاربة العدو في حرب ما فقط، أم أنها قوة متحركة باستطاعتها الاستجابة لمختلف أنواع الأحداث.[1]

ما يميز هذه الرواية تفاصيلها الكثيرة التي تجعلها أكثر قربًا من الواقع، فالرواية مليئة بأسماء أماكن ومستوطنات إسرائيلية ووحدات عسكرية إسرائيلية وأنواع أسلحة وتفاصيل فنية وتقنية، «ومن المدهش رؤية كمية المعلومات الموجودة في الرواية، حتى وإن كانت غير دقيقة وحتى وإن جال بها خيال الكاتب لساعات طويلة؛ فإن الشكل الذي تظهر به الرواية يخلق واقعًا أدبيًا أصيلاً ومقنعًا تمامًا».[2] كما تلفت الرواية الأنظار إلى حجم القوة العسكرية الإسرائيلية في الواقع وما يجب أن تكون عليه مستقبلاً للانتصار في أي معركة مع دول الجوار، وتخلص إلى أن «القوات البرية غير مؤهلة بما يكفي للانتصار في المعركة، ومصيرها متعلق بالقوات البحرية والجوية».[3]

يذيل الكاتب الرواية ببعض التوضيحات منها تبنيه كثيرا من الآراء التي دارت في النقاشات بين طاقم الغواصة على لسان يرون، ويخلص إلى أن عدم تحقيق السلام من شأنه أن يؤدي إلى كارثة كبيرة لا يمكن تلافيها، وخصوصا حينما تكون إسرائيل مضطرة للدفاع عن وجودها. جدير بالذكر أن كاتب الرواية ميشقا بن دافيد ولد في جفعات شموئيل عام ١٩٥٢، ودرس الأدب والفلسفة في الجامعة العبرية. وقد شغل منصب ضابط مخابرات في الجيش الإسرائيلي، وخدم في الموساد بين عامي ١٩٨٧ و١٩٩٩، ونال درجة الدكتوراه في عام ١٩٨٩ في الأدب العبري من الجامعة العبرية في القدس، وله نحو ٢١ عملاً أدبيًا ما بين الروايات والمجموعات القصصية وقصص الأطفال، وقد نال عدة جوائز منها جائزة رئيس الوزراء للأدب، وتصدرت روايته «القرش» قائمة الكتب الأعلى مبيعًا فور صدورها.

## الهوامش

١. دروري، عوفر. «القرش»، ISRAEL DEFENSE, 8-1-2018
https://www.israeldefense.co.il/he/node/32542
(شوهد في ١-٣-٢٠١٩)

٢. دي شليط، يونتان. «بين الأنفاق والغواصات، نشر في ملحق السبت، مكور ريشون، ٢٠١٧/١٢/٢٦
https://bit.ly/2Woojtc (شوهد في ١-٣-٢٠١٩)

٣. فنكل، غال بيرل، «سيناريو الرعب: هل ستكون القوات البريّة في الجيش الإسرائيلي كافية في المعركة القادمة؟، دبار ريشون، ٢٠١٨/٤/١.
https://www.davar1.co.il/103146 (شوهد في ١-٣-٢٠١٩)